النشـــــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ١٩٩٨/٢٤
الأحد ١٤ حزيران
أحد جميع القديسين
القديس أليشع النبي وأبينا الجليل
في القديسين مثوديوس المعترف
رئيس أساقفة القسطنطينية

اللحن الثامن
إنجيل السحر الأول

الـــرســـالـــة (عبرانيين ١١:٣٣-٤٠؛ ١٢:١ و ٢)

إنبثاق الروح القدس

"ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا اليكم من الآب، روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي" (يوحنا ١٥:٢٦).

لا يدعي أحد بأن الرباط الثقافي والحضاري واللاهوتي بين الشرق والغرب كان فـــي أوج مجده في أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر عندما حدث الإنشقاق البغيـــض بين الكنيستين الشرقية والغربية، بل على العكس كان بعد ثقافي وحضاري يسود نتيجة اندثـــار الإمبراطورية الرومانية في الغـــرب وحلـــول إمبراطوريـــة شارلمـــان الافرنجيـــة (٨٠٠م) وإمبراطورية اوتون (Otto) الجرمانية (٩٥٥) مكانها، وفرضهما اللغة اللاتينية على جميـــع الشعوب المنتصرة الخاضعة لسيطرتهما كلغة رسمية مقدسة، ونتيجة الفتح العربي الذي سيطر على معظم بطريركيات الشرق، الى ان جاءت قضية إنبثاق الروح القدس مـــن الآب والإبـــن

وإضافة الكنيسة الغربية عبارة "والإبـــن" (Filioque) علـــى دســـتور الإيمـــان النيقـــاوي – القسطنطيني، فكانت هذه القضية الشعرة التي قسمت ظهر الكنيسة والشـــرارة التـــي أشعلـــت الخلاف بين الشرق والغرب.

السؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف دخلت هذه الكلمة "والإبن" الى دستور الإيمان رغم أن المجمع المسكوني الثاني لم يذكرها، علما أن السلطة الوحيدة التي تستطيع تغيير أي شـــيء في قرارات المجامع هي مجمع مسكوني، وهذا لم يحصل أبدا باعتراف الكنيســـة الكاثوليكيـــة نفسها.

حافظ الشرق والغرب في البداية على إيمانهما بانبثاق الروح القدس مـــن الآب فقـــط حسبما أعلن المجمع المسكوني الثاني حتى أن المجمع المسكوني الثالث (٤٣١) يرشق بالحرم أي إنسان يعترف بإيمان آخر لا يتطابق مع إيمان المجامع السابقة، وقد جدد المجمعان الرابـــع (٤٥١) والخامس (٦٨١) هذا الحرم. كذلك أعلن القديس كيرلس الإسكندري (القرن الخـــامس) أن من يسقط أو يزيد أي شيء على دستور إيمان الكنيسة الجامعة فكأنه يعاند الله.

ويبدو أن الآريوسية لم يقض عليها في إسبانيا إذ نشأت حوالي السنة ٤٠٠ فكرة إنبثاق الروح القدس من الآب والإبن بسبب حادة اللاهوتيين الى التشديد على حقيقة الأقانيم الإلهيـــة وتساويها في الجوهر. وكانت أيضا قد برزت بدعة البريشيليانيين (نسبة الى Priscilien أسقف Avila في إسبانيا) التي علمت من ضمن أمور عديدة القول بأقنوم أوحد للثالوث. تسربت هذه الإضافة الى مجمع Toledo الثالث في إسبانيا عام ٥٨٩ ردا على هراطقة آريوسيين من شعب الغوط المنتصرين. جاء في القانون الثالث من هذا المجمع أن كل من لا يعترف بالإنبثاق مـــن الآب والإبن معا يقطع. فأمر الملك روكارد، وكان حديث الإرتداد عن الآريوسية، بإدخال هذه الصيغة في دستور الإيمان النيقاوي القسطنطيني. وأقر هذه الزيادة مجمع طليطلة الرابع عـــام ٦٣٣. يقول بول أفدوكيموف في كتابه "الروح القدس في التراث الأرثوذكسي" (صفحة ٥٤):

" لقد كانت هذه الصيغة مفيدة بشكل مؤقّت في نطاق محاربة آريوس الذي كان يرفض ألوهـــة المسيح، وبالتالي السعي الى تأكيد المساواة في الجوهر بين الآب والإبن، بمعنى أنه إذا كـــان الروح القدس ينبثق من الإثنين معاً، فمن الواضح أن الإبن مساوٍ للآب وهو من جوهر الآب".

تسربت هذه الزيادة الى فرنسا وحمل رايتها الإمبراطور شارلمان ودافع عنـــها بقـــوة، فعقد مجمعاً في إكس لا شابل عام ٨٠٩ بهدف حرم الإمبراطورية البيزنطية، وثبت فيه إنبثاق الروح من الآب والإبن ، بالرغم من معارضة البابا لاون الثالث الذي رفض ذلك وتمنّع عـــن تلاوة الإضافة في القداس الإلهي ونقش دستور الإيمان دون الإضافة على لوحتين من الفضـــة باللغتين اليونانية واللاتينية وأمر بتعليقهما على مدخل كنيسة القديس بطرس فـــي رومـــا مـــع

الحاشية التالية: "هذه كتبتها أنا لاون حفاظا على الإيمان الأرثوذكسي". غير أن الصيغة الجديدة عمت فرنسا وإسبانيا وايطاليا وإلمانيا (حيث القبائل الجرمانية).

في الشرق، لم يظهر الإهتمام بهذه القضية إلا في زمن البطريرك فوتيوس القسطنطيني (القرن التاسع)، ولم يسمع عنها إلا عبر جدالات بين رهبان الإفرنج ورهبان دير القديس سابا في القدس، ولأن الباباوات كانوا ضدها حتى بداية القرن الحادي عشر، حين خضعوا لسلطة الأباطرة الجرمان. وقد عقد البطريرك فوتيوس مجمعا في القسطنطينية عام ٨٧٩ رفض فيه كلمة "والإبن".

في الغرب، ومنذ عهد اوتون الأول (Otto I) (٩٣٦ – ٩٧٣) مؤسس الإمبراطورية، الذي استولى على إيطاليا عام ٩٥١، حصلت ضغوطات شديدة على الباباوات أدت في الأخير الى إستقالة آخر بابا روماني أرثوذكسي يوحنا الثامن عشر، وإنتخاب أول بابا جرماني سرجيوس الرابع (١٠٠٩) الذي تلا هذا الدستور مع الإضافة، فحذره بطريرك القسطنطينية سرجيوس، ولما لم يقبل حذفه من لائحة الأساقفة (الذيبتيخا Dyptiche) في القسطنطينية، وسانده بطاركة أورشليم وإنطاكيا والإسكندرية، فحصلت القطيعة بين الشرق والغرب. في العام ١٠١٤ جاء الإمبراطور هنري الثاني الى روما لكي يتوجه البابا نيكيتوس الثامن، ففرض الطقس الجرماني، وأنشد دستور الإيمان مع الإضافة للمرة الأولى في كنيسة القديس بطرس ، ونزعت اللوحتان اللتان علقهما البابا لاون الثالث. ثم ارتضى مجمع لاتران الزيادة عام ١٢١٥ في عهد البابا اينوكنثيوس Innocent الثالث، وكرسها نهائيا مجمع ليون الإتحادي عام ١٢٧٤.

أما القطيعة النهائية بين الشرق والغرب فقد حصلت في ١٦ تموز من العام ١٠٥٤ عندما دخل موفد البابا لاون، الكاردينال همبرتو (Humbert) ووضع على مذبح كنيسة الحكمة الإلهية حرما للبطريرك ميخائيل القسطنطيني أثر بعض الإشكالات حول بعض أبرشيات إيطاليا وبعض العادات اللاتينية كاستعمال الفطير والصوم يوم السبت إلخ...

إذا، من المهم جدا الوعي بأن الخلاف حول قضية إنبثاق الروح القدس في القرون العشرة الأولى لم تكن بين الكنيستين الشرقية والغربية، أو بين الرومان الشرقيين والغربيين، بل بين رومان الغرب والشرق من جهة وبين الافرنج والجرمان الذي تبنوا هذه العقيدة الجديدة وفرضوها في الأخير على الباباوات في روما.

الكنيسة الشرقية رفضت الإضافة لسببين: أولهما لأن قرارات المجامع المسكونية لا يمكن تعديلها إلا بقرارات مجمع مسكوني آخر ، وهذا لم يحدث على الإطلاق. والثاني والأهم لاهوتي. فاللاتين، بحسب البطريرك فوتيوس في كتابه "المدخل الى الروح القدس"، ينطلقون من الجوهر الإلهي ويعتبرونه وحده مبدأ الوحدة في الثالوث. وعلى ضوء الجوهر كانوا يتحدثون عن الصلة بين الأقانيم ، في حين أن أهل الشرق كانوا ينطلقون من التمايز القائم بين

الأقانيم ومنه يفحصون وحدة الجوهر، وهكذا فان التعليم بأن الروح القدس منبثـــق مـــن الآب والإبن معاً هو مجرد نتيجة لعقيدة التساوي في الجوهر بينهما، وبذلك يضعف اللاتين "وحـــدة الرئاسة" التي للآب ويضحون تالياً بتمايز الأقانيم في سبيل "وحدة الجوهر المشتركـــة". يقـــول فوتيوس: "إن القول بأن الآب علة الإبن وإن الآب والإبن معاً علة الروح يوجب أن يكون الآب والإبن والروح علة لأقنوم رابع...". الخوف من القول بالإنبثاق من الآب والإبن هو أن يكون لدينا مصدران للألوهية وهكذا ندخل في الشرك وتعددّ الآلهة.

ربما كان كلام القديس يوحنا الدمشقي التالي أوضح تعبير عن وحدة جوهر الثالوث مع تمايز الأقانيم، إذ إن الاقانيم الثلاثة متساوون في الجوهر من حيث الألوهة، ولكنهم متمايزون: الآب مصدر الألوهية، الإبن مولود، والروح منبثق: "نؤمن بآب واحد، مبدأ الجميع وعلّتهم، لم يلده أحدٌ وهو وحدَه أيضاً غيرُ معلول ولا مولود... وهو مصدرُ الروح القدس... أما الـــروحُ القدس ...، فينبثق من الآب لا بالولادة بل بالإنبثاق ... نؤمن أيضاً بالروح القـــدس الواحـــد، الربّ المحيي، المنبثق من الآب والمسجود له والممجَّد مع الآب والإبن ... منبثـــق مـــن الآب وموهوب بالإبن فتناله الخليقة كلُّها. خالقٌ بذاته، يكوّن الكل ويقدّسه ويعتني به. قيّومٌ بأقنومـــه الخاص، غيرُ مفترق ولا منفصل عن الآب والإبن. له كل ما للآب والإبـــن عـــدا الـــلاولادة والولادة... أما الإبن فهو من الآب بالولادة. والروحُ القدس هو أيضاً من الآب، لكن لا بالولادة بل بالإنبثاق. ونحن نعلم أن هناك فرقاً بين الولادة والإنبثاق لكننا نجهل كيفيّته. وإننا نعلـــم أيضاً بأن ولادةَ الإبن وإنبثاق الروح القدس من الآب كانا معاً" (المئـــة مقالـــة فـــي الإيمـــان الأرثوذكسي، الرأس الثامن، المقالة الثامنة).

الصلاة في الحياة المسيحية

صلاة يسوع

" أيها الرب يسوع المسيح، يا إبن الله الحي، إرحمني أنا عبدك الخاطىء".

الصلاة الدائمة او صلاة يسوع هي مناداة إسم الرب يسوع بالشفاه أو بالفكر أو بالقلب لتثبيت حضوره الدائم فينا وطلب رحمته في كل زمان ومكان. هي إختبار الصلاة من أعمـــاق القلب. هي واحة سلام في صحراء العمر الصاخب وسلاح فعال لردع الشرير.

إن إسم يسوع في الكتاب المقدس، كما إسم الله، محاط بهالة تدل ليس فقط على مكانته إنما أيضاً على كونه مصدراً للحياة والخلاص. "ها أنا مرسل ملاكاً أمام وجهك ليحفظك فـــي الطريق وليجيء بك الى المكان الذي أعددتُه، إحترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه لأنه لا يصفح عن ذنوبكم لأن إسمي فيه" (خروج ٢٣:٢٠ – ٢١).

إذا أطلق ؟إسم الله على شعب أو على مدينة صار هؤلاء من خاصّته. وإسم الله يستقر في من يتسمّون باسمه وهو يقودهم "لأن جميع الشعوب يسلكون كل واحد باسم إلهـــه ونحـــن نسلك باسم الرب إلهنا الى الدهر والأبد" (ميخا ٤:٥).

في المطلق، كل إسم هو كلمة ذات مضمون، لأنه يحوي المسمّى، ولأننا متى ســـمّينا شخصاً ما، نستعيد حضوره بيننا. فالإسم لا يتجرد عن صاحبه بل يختصره، لا بل يستحضره، ما يعني لنا إذ ذاك، مجموعة من الخصائص والصفات التي يتحلّى بها صاحب الاســـم. إنـــه يختصر تاريخاً وأحداثاً ويولّد فينا مشاعر وأحاسيس تجعل من تسمية أحد الأشخاص في سياق حديث أو فكرة، علاقة شخصية ونمط حياة ومنهجاً للتعاطي. ليست التسمية إستذكاراً لشخـــص إنما إستحضار له.

من هنا إن ذكر الله أو ذكر يسوع ليس ترداداً لكلمات في سياق الصلاة إنمـــا حضـــرة وحضور، كلمة متجسد، يقتضي علينا أن نتعلّم كيفية التعاطي معه والتصرّف في حضرته.

لقد بشر الملاك العذراء قائلاً:"ها أنت ستحبلين وتلدين إبناً وتسمينه يسوع. هذا يكـــون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ولا يكون لملكه نهاية" (لوقا ١:٣١ – ٣٣). هكذا فإن إسم يســـــوع يحمـــل أيضـــاً مقـــاصده الخلاصية وتحقيق النبوءات وإعلان الملكوت. باسم يسوع صارت البشارة وحصلت الشفاءات وأقيم الموتى والعميان أبصروا والعرج والمخلعون مشوا. ولا يعني هذا ان اسم يسوع "تعويذة" سحرية، لأن لا أحد يستطيع أن يعمل شيئاً بإسم يسوع ما لم يكن على علاقة وطيدة وكيانيـــــة به.

يقول هرماس الراعي (النصف الأول من القرن الثاني) "إن قبول إســـم ابـــن الله هـــو انعتاق من الموت" والرب يسوع يعلمنا قائلاً: "الحق الحق أقول لكم إن كل ما طلبتم مـــن الآب بإسمي يعطيكم" (يوحنا ١٦:٢٣) ولا أحد يستطيع أن يدخل ملكوت الله ما لم يكن باسم يسوع. هكذا نحن العائشين في عالم مليء بأنواع التجارب، والذين يحاول الشرير إيقاعنا في حبائلها، ليس لنا سوى اسم الرب يسوع حافظاً ومخلّصاً.

<u>أصول ممارسة صلاة يسوع</u>

إن التضرّع لإسم يسوع يتخذ أشكالاً متعددة يعتمدها المصلّي بحسب ما يناســـبه كـــان ينادي "يا يسوع إرحمني أنا الخاطىء" أو "يا يسوع إرحمني" أو "ربي يسوع المسيح، إبن الله، إرحمني" الى ما هنالك من تعابير يجعلها المصلّي صرخته الخاصة أو طريقته فـــي مخاطبـــة يسوع. وقد يكتفي البعض بتسمية الإسم الإلهي فقط "يا يسوع" فيكون الاسم وحده مهدئاً للنفس ومسكّناً للقلب.

ليست صلاة يسوع صلاة تتلوها الشفاه فقط بل هي صلاة للفكر متأملاً، او للقلب متخشعاً، وهي صلاة ممكنة لا بل مطلوبة كل حين. ولكن لا بد للمبتدئين أن يبدأوا صلاة يسوع بعد تركيز وهدوء بحيث يكون الإطار مساعداً على توّسل الروح القدس كي يضع فينا قلباً نقياً متخشعاً.

كثيراً ما يبحث المبتدئون في صلاة يسوع عن مشاعر وأحاسيس تحرك كيانهم، يعتبرونها من ثمار الروح. الا ان هذا النهج لا يؤدي بصاحبه الى المبتغى لأن الصلاة لا تصبو الى تحقيق مشاعر جياشة بل الى ملاقاة يسوع. فلا نبتعدنَّ عن المبتغى الأساسي ونقع في تجارب مؤذية للنفس. فالله لم يظهر لإيليا في الريح ولا في الزلزلة ولا في النار بل في صوت خفيف منخفض.

ولذلك لا تسرّع في بلوغ الدرجات المتقدمة في هذه الصلاة وكذلك لا مزايدة، بحيث يفاخر من يصلّي صلاة يسوع على من لا يصلّيها. وكذلك لا إجهاد للنفس بل مراعاة دقيقة لإمكاناتها. فمتى شعر المصلّي بتعب من التركيز على صلاة يسوع فليخلد الى الراحة او حتى الى النوم. فالمؤمن، حتى متى خلد الى النوم يبقى قلبه مستيقظاً (نشيد الأناشيد ٢:٥).

هناك تجربة أخرى يقع فيها من يصلّي صلاة يسوع إذ يشعر في بعض الأحيان ان نفسه جافة والبرودة الروحية تتلف جهاده بالرغم من المجهود الذي وضعه للصلاة. في حالة كهذه يجب ألاّ نخاف أو نعتبر أن الوقت قد مضى سدىً لأننا لم نلمس حضور الرب. كل صلاة صادقة يقبلها الرب وشذى بخورها يبلغ اليه بصورة لا تدرك. فإسم الرب طيب مهراق يطيّب النفس ويفرحها، والرب يقبل صلاتها، ولو بعد حين، بعظيم حنانه ورحمته.

لقد دعونا اسمك يا يسوع الحلو صلاتنا فليرتسم علينا نور وجهك يا الله.

تأمل

من أراد أن يعيش متحداً بالمسيح عليه أن يهتم اهتماماً صادقاً بنفسه، ان ينجذب بالمسيح وليس بالأشياء العالمية.

عندما سمع الرسول بطرس دعوة المخلّص لم يهتم بالأمور الدنيوية. وكل مسيحي وإن لم تكن له دعوة بطرس الخاصة، مدعوٌ بالنعمة المستمرة التي تعطى للنفس بواسطة الأسرار ليحيا بالمسيح. يتكلم الرسول بولس عن هذه الدعوة قائلاً: "أرسل الله روح ابنه الى قلوبكم صارخاً يا ابا الآب" (غلا ٤:٦). يجب ان نعتبر كل الأشياء الاخرى في المرتبة الدنيا لنتمكن من أن نتبع المسيح. "ليس من المستحب أن نهمل كلام الله لنخدم الموائد" (أعمال ٢:٦) لأنه ما قيمة الخيرات المادية الضرورية بالنسبة لخدمة الله؟ ثم ان من يخدم الله بصدق سيجد الخيرات

المادية الضرورية، لأن الله هو النبع والقائد لكل خير. "اطلبوا ملكوت الله وبرّه وكل شيء يزاد لكم" (متى ٦:٣٣). ان الله الذي لا يكذب قد أعطانا هذا الوعد.

يتكلم المخلّص كثيراً بقصد حمايتنا من الاهتمامات الدنيوية ويقول بأنه لن يتركنا بل سيهتم بنا وبحياتنا. انه يشدد على هذه الحقيقة لأننا مشرفون على خسارة الأمور السامية لسبب اهتمامنا الدنيوي. اذا كان الاهتمام الدنيوي خطراً فما قولك بالاهتمام المرفق بالعذاب؟ ان هذه الحالة من النزاع الحياتي تقود الإنسان الى منحدر الضلال. من ترك نفسه ليكون ألعوبة بيد القدر والأهواء الحياتية يعاني دواراً وانهياراً نفسياً وتضعضعاً ولا يتردد عن فعل كل ما هو قبيح وخاطىء ويتوقف عنده كل نشاط وامكانية وعمل، ويصبح عبداً للأهواء، وعندما توجد النفس في مثل هذه الحالة المحزنة تملؤها جراح الخطيئة فتنقاد الى الموت الروحي، الى الإبتعاد الكلي عن الله. الى أين يستطيع الحزن ان يقود الذي يغذيه الاهتمام بالأمور الدنيوية. "ان حزن هذا العالم يعمل من أجل الموت" (٢ كور ٧:١٠) فمن أراد ان يحيا الحياة الروحية عليه ألاّ يطرد الحزن فقط بل كل اهتمام وقلق، هذا العدو اللدود للحياة المسيحية. فعلى من يريد أن يحيا الحياة في المسيح أن يحصّن نفسه ضد كل الاهتمامات الكافرة.

الأب نقولا كاباسيلاس

(١٢٩٠ - ١٣٧١)